

المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات

بقلم

د/ أحمد خويلدي (*)، ود/ هارون الرشيد بن موسى (**)



ملخص

أولى الإسلام عناية بالغة لحياة الجماعة فحياة الفرد مرتبطة بها والعكس، وهذا ما نستشفه من خلال دعوة الإسلام إلى العناية بالأسرة وحسن الجوار، وبذل المعروف والتعاون بين جميع المسلمين.

ويمكن تتبع ذلك حتى من خصال الكفارات (الإطعام - الصيام - العتق) التي تبدو في ظاهرها عقوبات، لكن عند النظر في مقاصدها يمكن استخلاص العديد من المقاصد الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المقاصد الاجتماعية؛ خصال الكفارات؛ الإطعام؛ العتق؛ الصيام.

مقدمة

بعث الله سبحانه وتعالى نبيّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام برسالة الإسلام العظيمة التي هيمنت على ما سبقها من الرّسالات السّماوية، وكانت بحقّ خير وأكمل شريعة أنزلت للنّاس، فقد تميّزت بميّزاتٍ أهّلتها لأن تكون وحدها الرّسالة الخالدة أهمّها

(*) قسم الشريعة - معهد العلوم الإسلامية - مخبر الدراسات الفقهية والقضائية - جامعة الوادي.

khouildi-ahmed@univ-eloued.dz

(**) مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة - الأغواط.

haroun.benmoussa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/05/12 تاريخ القبول: 2019/06/08

الربانية، أي أنّ مصدرها الخالق جلّ وعلا الذي يعلم ما يصلح لعباده وما لا يصلح، وما يحقق لهم السعادة وما يسبّب لهم التّعاسة، فلا يوجد حكم فيها أو تشريع إلاّ ويحتوي على حكم عظيمة ومقاصد جليّة يمكن للإنسان المسلم أن يستنبط بعضها منها ويمكن أن تغيب عليه أخرى وهذا الأمر جار على جميع الأحكام دون استثناء، وكمثال عن ذلك الكفارات التي شرعها الله عز وجل كحل بديل عن ذنوب معينة احتوت خصالتها على العديد من المقاصد فمنها النفسية والاقتصادية والاجتماعية....

ونظرا لعناية الإسلام بالجانب الاجتماعي في حياة الناس وتأكيد على دوره من خلال العديد من النصوص آثرنا أن نركز في بحثنا هذا على المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات فأين تتجلى فيها؟ وما تأثيرها على شبكة العلاقات الاجتماعية؟ وما دورها في إرساء قيم التسامح والمودة والإخاء؟ وقد احتوى المقال على العناوين التالية:

- مقدمة.
- أولا: مدخل مفاهيمي.
- ثانيا: المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات.
- خاتمة.

أولاً. مدخل مفاهيمي

تعريف المقاصد:

أولاً: تعريف المقاصد لغة: المقاصد جمع مقصد، وهي مشتقة من الفعل قصد، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية بمعان عديدة، من هذه المعاني:

1- استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ

شَاءَ لَهْدَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴿النحل 09﴾.

2- العدل والوسط بين الطرفين: وهو ما بين الإفراط والتفريط، والعدل والجور، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر 32].

3- الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: (قصدت الشيء، وله، وإليه قصد¹).

اصطلاحاً: "المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد"².

أهمية دراسة المقاصد:

لدراسة المقاصد وتطبيقها على أرض الواقع فوائد وأهمية كبيرة فهي روح الشريعة وغاياتها، وهي مهمة جداً للفقهاء والمجتهد على السواء، فهي ليست مجرد متعة معرفية، ولا مجرد التعمق في المعاني والمرامي، بل لها أثر عملي، وفائدة في الواقع.

فبواسطتها يستطيع الفقيه تنمية ملكة الاجتهاد، واستنباط الأحكام العملية من الأدلة التفصيلية، ويفيده في الحكم على حالات أخرى مشابهة.

كما أن علم مقاصد الشريعة يفيد المجتهد عند تعارض الأدلة، ولذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن -يعني عن مرتبة الاجتهاد- إنها لا تنال إلا بشرطين، لا تحصل درجة الاجتهاد إلا لمن اتصف بوصفين:

الأول: فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على هذا الفهم.³

وكمثال عن ذلك في موضوعنا "المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات" عدم جواز الصيام مع القدرة على الإطعام والكسوة في كفارة اليمين ففي هذه الحالة الصيام لا يجزئ ولا تبرأ الذمة به⁴ لأن الجانب الاجتماعي يتجلى في الإطعام والكسوة أكثر منه في الصيام، فالأولان عبارة عن مال يدفع للغير أما الثاني (الصيام) فله مجموعة من الآثار النفسية التي تساهم في تحسيس المسلم بإخوانه وشعوره بالآلامهم، لأنه يعاني ما يعانونه فيدفعه ذلك الشعور إلى تفقد إخوانه المحتاجين ومساعدتهم بقدر الاستطاعة والتخلي عن كثير من الصفات التي يتحلى بها في غير الصيام كالأنانية وحب الذات والجشع وغيرها...

ومنه يمكن القول أن للإطعام تأثير مباشر على الجانب الاجتماعي، أما الصيام فتأثيره غير مباشر لذلك قدم الإطعام على الصيام في كفارة اليمين.

تعريف الكفارات:

لغة: جمع كفارة مشتقة من الكفر -بالفتح- وهو الستر والتغطية، وقد أطلق الكفر على نقيض الإيمان لما فيه من ستر الحق وتغطيته.⁵

اصطلاحاً: قال النووي: "الكفارة من الكفر -بفتح الكاف- وهو الستر، لأنها تستر الذنب وتذهبها، هذا أصلها، ثم استعملت فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك، وإن لم يكن فيه إثم كالقتل خطأ وغيره."⁶

وقد عرفها عبد القادر عوده فقال: "هي العقوبة المقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها."⁷

وقد عرفت أيضاً "إلزام مالي أو بدني وجب بترك التزام شرعي".⁸

والملاحظ على هذه التعاريف أنها ربطت الكفارات بمعنيين جواهر وزواجر، فالجواهر هي التي تجبر الذنب وتغطيه وتستره وهي عبادات وقربات بنية معينة وهو ما ذهب إليه التعريف الأول، والزواجر لأنها عقوبات تزجر عن المعصية وهي عبارة عن تفويت أموال وتحميل مشاق وهو ما ذهب إليه التعريف الثاني .

لكن يمكن للكفارة أن تتجاوز المعنيين للمساهمة في المجال الاجتماعي والاقتصادي أو النفسي لأن لها حكم أخرى قد تغيب عن ذهن الإنسان كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة.

ثانياً: المقاصد الاجتماعية للكفارات

لم نقف على تعريف لكننا حاولنا أن نعرفها كالتالي " هي والحكم والأسرار التي احتوتها الكفارات ذات البعد الاجتماعي " أو هي الغايات الاجتماعية المستنبطة من العقوبات البديلة (الكفارة) "

حكم الكفارة⁹: الكفارة مشروعة باتفاق الفقهاء وهي واجبة جبراً لبعض الذنوب والمخالفات الشرعية ودليل ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُوهٗٓ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا طَعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۢ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة 89]

ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: (... وإذا حلفت على يمين غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وآت الذي هو خير)¹⁰.

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون من عصر رسول الله ﷺ على مشروعية الكفارة.

بين الكفارة والفدية والدية والجزية: الكفارة أخص من الفدية لأن الفدية هي البديل الذي يتخلص به المكلف من مكروه توجه إليه، وتختلف الكفارة أيضاً عن الدية لأن الدية هي المال الواجب بالجنائية على حر في نفس أو فيما دون النفس، والكفارة غير الجزية لأن الجزية اسم للمال الذي يؤخذ من أهل الذمة لإسكانهم في ديارنا وحمائهم وحقن دمائهم.¹¹

عناية التشريع بالجانب الاجتماعي:

المجتمع هو مجموعة من الأفراد تجمعهم روابط معينة، والفرد والمجتمع كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر وهما كجناحين تعلو وتهبط بهما الحضارات، فالعناية بسلوك الفرد وثقافة المجتمع يرسم مسار الحضارة وينبئ عن عمرها وهو ما عبر عنه المفكر الجزائري مالك بن نبي حين يقول: "فالمجتمع يحمل في داخله الصفات الذاتية التي تضمن استمراره وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ، وهذا العنصر الثابت هو المضمون الجوهرى للكيان الاجتماعى، إذ هو الذى يحدد عمر المجتمع واستقراره عبر الزمن، ويتيح له أن يواجه ظروف تاريخه جميعاً، وهو الذى يتجسد في نهاية الأمر في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد المجتمع فيما بينهم وتوجه ألوان نشاطهم المختلفة في اتجاه وظيفة عامة هي رسالة المجتمع الخاصة به".¹²

لذلك اهتم الإسلام بالعلاقات التي تكوّن المجتمع الواحد المتماسك والدولة المتماسكة بدءاً من الأسرة، وانتهاءً بالأمة كلها، فقد جاء الإسلام بالعلاقات التي تربط الأسرة ببعضها، وتربط المجتمع ببعضه، حيث أمر الإسلام ببر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وبذل الإحسان، والعطف على المحتاج، والمؤاخاة بين المسلمين، وغير ذلك مما فيه صلاح الدنيا والآخرة.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، عندما بدأ فور وصوله إلى المدينة المنورة بتوثيق العلاقات بين المسلمين من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم أتبع ذلك بكتابة وثيقة المدينة المنورة، التي رسمت العلاقات بين أبناء مجتمع المدينة بمختلف أطيافهم، فشبكة العلاقات هي سر تطور المجتمع ونهوضه¹³.

إن فكرة المجتمع واضحة بارزة في شعائر هذا الدين ونظامه على السواء وأنها الفكرة الأولى القوية الشائعة في كيانه كله، فإذا شاهدنا في بعض العصور محاولة لتضخيم الجانب التعبدية في هذا الدين وعزله عن الجانب الاجتماعي أو عزل الجانب الاجتماعي عنه فتلك آفة العصر لا آفة الدين¹⁴.

وحتى العبادة ليست مجرد إقامة الشعائر إنما الحياة كلها خاضعة لشريعة الله، متوجهة بكل نشاط فيها إلى الله، ومن ثم يعد كل خدمة اجتماعية وكل عمل من أعمال الخير في عبادة، ولعل مرض المجتمع يرجع إلى "تضخم الأنا"، وتنامي "النزعة الفردية" داخله؛ حيث إن الفرد يبحث عن مصالحه الشخصية، ومنافعه الذاتية، دون الالتفات إلى مصلحة المجتمع، فيغيب التعاون لبناء المجتمع، وتدور النقاشات بين الأفراد، لا للوصول إلى حلول، بل لجلب الأدلة التي تدعم وجهة نظر الفرد.

أسباب وجوب الكفارة إجمالاً: 15

1- الحنث في اليمين: أي المخالفة لما انعقدت عليه اليمين، وذلك بفعل ما حلف على عدم فعله، أو ترك ما حلف على فعله، إذا علم أنه قد تراخى على فعل ما حلف على فعله إلى وقت لا يمكنه فيه فعله عدم الوفاء بالنذر: فمن نذر نذراً ولم يوف به فكفارته كفارة يمين و تتمثل في إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة والفرد مخير في هذه الثلاثة وعند العجز عنها يلزمه صيام ثلاثة أيام. قال تعالى ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ بِاللَّعْنَةِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ

مَسْكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ (سورة المائدة آية 89)

2. كفارة الظهار: وهى الكفارة التي تجب على من يظاهر امرأته بأن يقول لها: أنت

علي كظهر أمي فتحرم عليه حتى يكفر ظهاره وتتحدد الكفارة في قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّاسًا ذَلِكُمْ تَوَعُّظٌ ۚ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٩٠﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ۚ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ (سورة المجادلة، آية 4: 3).

يتضح من الآية الكريمة أن كفارة الظهار تكون على الترتيب الآتي تحرير رقبة،

فصيام شهرين متتابعين، فإطعام ستين مسكيناً.

القتل الخطأ: الأصل في كفارة الخطأ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۖ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۚ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ (النساء 92)

وقد أوجب الله تعالى في دية القتل خطأ شيئين الكفارة والدية.

الجماع في نهار رمضان عمدا: وتتمثل العقوبة فيما روى عن رسول الله ﷺ " أنه

جاءه رجل فقال هلكت قال رسول الله ﷺ: وما أهلكك ؟، قال واقعت امرأتي في

رمضان، قال ﷺ تجد رقبة؟، فقال: لا قال ﷺ: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال ﷺ: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا، ثم جلس السائل وأتى النبي ﷺ بعرق تمر فقال تصدق بهذا فقال على أفقر منا يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها أهل أحوج إليه منا فضحك ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال أذهب فأطعمه أهلك¹⁶. وهذه الكفارة واجبة عند جمهور الفقهاء ويرى الإمام مالك أنها تجب على التخيير وأفضلها الإطعام¹⁷

محظورات الحج أو الإحرام: إذا ارتكب الحاج بعض محظورات الإحرام وجبت عليه الكفارة وذلك مثل أن يصيد صيد البر أو يخلق شعره أو يقص أظفاره أو يتطيب أو يلبس المخيط ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة البقرة آية رقم 196).

أنواع الكفارات:

أشار الكاساني رحمه الله لأنواع الكفارات من حيث سبب وجودها بقوله:
والكفارات المعهودة في الشرع خمسة أنواع: "كفارة اليمين وكفارة الحلق (في النسك) وكفارة القتل، وكفارة الظهار وكفارة الإفطار في رمضان، والكل واجبة إلا أن الأربعة الأولى منها عرف بالكتاب العزيز، والخامسة منها عرف وجوبها بالسنة"¹⁸.

ب- المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات:

من خلال عرضنا لأنواع الكفارات يتبين لنا أن خصالها تتمثل في ثلاثة أشياء

الإطعام أو الكسوة والصيام والعق و قد احتوت هذه الخصال على مقاصد اجتماعية عامة أي تشترك فيها جميعا ومقاصد اجتماعية تميز كل خصلة عن الأخرى.

مقاصد اجتماعية عامة:

يتجلى في الكفارات جانب الزجر والردع فإذا علم المسلم أنه لو ارتكب فعلا يترتب عليه كفارة وأنها ستكون في ذمته نكان ذلك سببا في ردعه وزجره ومنعه من الإقدام على فعله بل والسعي في أسبابه فتحقق بذلك العديد من المصالح الاجتماعية، ففيها حفاظ على الأسر من ظاهرة الظهار كما يوجد فيها حفاظ على مشاعر المسلمين من انتهاك حرمة رمضان وتثبيت لقيمة اليمين في المجتمع والحفاظ على النفس، فإذا كانت العقوبة تعود على المجتمع بالمصلحة، لما اشتملت عليه من تحرير رقبة أو إطعام أو كسوة، فإن الكفارة حينئذ تكون محققة لمصلحة المجتمع بصورة دقيقة وعميقة.

قال السرخسي: "الكفارات أجزية الأفعال وهي مشروعة للزجر عن ارتكاب أسبابها".¹⁹

وقال ولي الله الدهلوي: "...لأن مقاصد الكفارة أن يكون بين عيني المكلف ما يكبحه عن الاقتحام في الفعل خشية أن يلزمه ذلك، ولا يمكن ذلك إلا بكونها طاعة شاقة تغلب على النفس، إما من جهة كونها بذل مال يشح به، أو من جهة مقاساة جوع وعطش مفرطين".²⁰

وفي الكفارات أيضا ترسيخ للقيم الأخلاقية لأن الشريعة الإسلامية تدعو المسلمين إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وإلى الأخوة والمحبة والرحمة والعدل بين الناس وحفظ كرامتهم وتنهاتهم عن كل ما يחדش المعاني النبيلة بينهم من ظلم وبغض وتحاسد واحتقار للآخرين أو فعل ما فيه إيغار للصدور كالبيع على بيع الآخر أو

الخطبة على خطبة غيره، وكل ذلك يشكل حصنا واقيا للفرد من الوقوع في الجريمة.

كما أن إثبات الكفارة في حالات تقع دون إرادة من الإنسان كما في القتل خطأ يحمل الكثير من المعاني، بما في ذلك معان نفسية تربوية توقظ في نفس الإنسان قدر الإنسان وقيمه ليس بالنسبة لأهله بل قيمته من الناحية الدينية وقيمه بالنسبة للمجتمع ومن ثم يعظم معنى حفظ النفس في النفوس بما يوجب ضرورة حذر الإنسان في الحياة وحرصه على حياة الآخرين²¹.

المقاصد الخاصة: سبقت الإشارة إلى أن خصال الكفارات تتمثل في ثلاثة أشياء الإطعام أو الكسوة والعتق والصيام ولكل خصلة من هذه الخصال مقاصد اجتماعية تتميز عن الأخرى.

أ- الإطعام والكسوة: لهما نفس المقاصد تقريبا إلا أن الغالب على نصوص السنة هو الإشارة على أهمية الطعام وهو ما جرى عليه العمل في الأدبيات الاجتماعية والتاريخية هو الحديث عن الطعام دون غيره، لذلك آثرنا الحديث عن الطعام دون الكساء وقد احتوى الإطعام على العديد من المقاصد أهمها:

- مقصد تحقيق الاستقرار الاجتماعي: من خلال ما يفرضه على المكفرين من التكافل الاجتماعي والأخذ بأيدي الفقراء ومساعدتهم، لأن غياب الإطعام يؤدي إلى تفكك المجتمع واختلال نظامه، وشيوع الفقر سيبتج عنه ظواهر اجتماعية كثيرة كالتهريب والسرقة أو قيام ثورات اجتماعية والتاريخ خير شاهد على ذلك، فمعظم الثورات التي قامت في العالم هي ثورات الخبز وقد أفرد المؤرخ المصري أبو العباس المقرئ كتاباً في مجاعات مصر التي أدت إلى ثورات عارمة، أو إلى موت ذريع بسبب الجوع والوباء، وقد كتب كتابه في أوائل القرن التاسع الهجري بأحاسيسه ودموعه؛ لأن ابنته الوحيدة قضت في الوباء الذي أعقب الجوع في تلك الفترة، وسماه (إغاثة

الأمة بكشف الغمة) أراد به أن يخفف عن الناس مصابهم بذكر مصاب من كانوا قبلهم مما هو أشد من مصابهم، وجمع فيه من أخبار المجاعات وثوراتها.²²

والثورة الفرنسية المشهورة (1789م) كان أهم سبب فيها الجوع، نتيجة للنظام الطبقي والفوارق الاجتماعية التي كانت تسود فرنسا علاوة على الضرائب المتنوعة والعديدة التي وقع عبئها على الطبقة الفقيرة²³ وكذلك الثورة البلشفية (1917م) كان من أسبابها سوء الأوضاع الاقتصادية من ارتفاع للأسعار ونقص للمواد الأولية من غذاء وغيره.²⁴

وقد أشار المؤرخ الأمريكي اللامع ديورانت في كتابة (قصة الحضارة) إلى العلاقة إلى تأثير الجانب الاقتصادي على العلاقات الاجتماعية فذكر أنه من أسبابها "والعوامل الاقتصادية من أهمها فقد يكون لشعب مؤسسات اجتماعية منظمة وتشريع خلقي رفيع، بل قد تزدهر فيه صغريات الفنون ومع ذلك فإن ضل في مرحلة الصيد البدائية واعتمد في وجوده على ما عسى أن يصادفه من نقائص فإنه يستحيل أن يتحول من الهمجية إلى المدنية تحولا تاما."²⁵

لذلك أولت الشريعة الإسلامية معاش الناس وأرزاقهم عناية عظيمة، فسدت كل طريق لاحتكار الطعام، أو التضييق على الناس فيه، وفي تشريعات البيوع والمعاملات خُص الطعام عن غيره بأحكام لأهميته فجاء في الحديث: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ»²⁶ ونقل الترمذي إجماع العلماء على منع الاحتكار في الطعام، وجعلت حيازة الطعام المبيع قبل بيعه مرة أخرى أمرا واجبا، وجاء فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا في زمان رسول الله ﷺ نَبْتَاعُ الطَّعَامَ فَيَبَّعُ عَلَيْنَا مِنْ يَأْمُرُنَا بِانْتِقَالِهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي ابْتَعْنَاهُ فِيهِ إِلَى مَكَانٍ سِوَاهُ قَبْلَ أَنْ نَبِيعَهُ»²⁷، وكانوا يعاقبون على الإخلال بذلك؛ كما روى ابن عمر «أَنَّهُمْ كَانُوا يُضْرَبُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا

اشْتَرَوْا طَعَامًا جِزَافًا أَنْ يَبِيعُوهُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يُحَوَّلُوهُ».²⁸

وهذا التشديد في الطعام لم يرد في غيره، وكأن الشارع الحكيم أراد إقفال كل طريق تؤدي إلى احتكار الطعام؛ لأن معاش الناس متعلقة به، فحين يلزم بكيله ونقله وحيازته بعد بيعه قبل أن يباع مرة أخرى؛ تكثر الأيدي التي تتداوله، فيمتنع احتكاره، ويراه الناس بكثرة وفتحت كل طريق يؤدي إلى إطعام الطعام وبذله، ورتبت عليه الأجور العظام.

ومن أوائل الخطاب النبوي المكي في المرحلة السرية يوم لم يكن مع النبي ﷺ إلا حر وعبد؛ سأله عمرو بن عَبَسَةَ: «ما الإسلام؟» فقال ﷺ: طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»²⁹ رواه أحمد. فكان إطعام الطعام حاضراً في أول خطابات الدعوة المكية، ولما هاجر إلى المدينة كان أول خطاب له ﷺ فيها فيه ذكر الطعام؛ إذ قال في مقدمه للمدينة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»³⁰ رواه الدارمي وسئل النبي ﷺ: «أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».³¹

مقصد تحقيق التكافل الاجتماعي: تعتبر الكفارات أحد الموارد الهامة لتمويل التكافل الاجتماعي حيث يلاحظ من العرض السابق أن تكفير المخالفات الشرعية يتمثل بصفة أساسية في إشباع حاجات الطعام والكساء للمحتاجين لذلك يشير أحد الباحثين إلى أن الإسلام جعل كفارة كثير من الذنوب إطعام الفقراء وكسوتهم وهذا مورد لتمويل مشاريع التكافل الاجتماعي³².

ولذلك فإن للكفارات دوراً هاماً في التكافل الاجتماعي حيث قد لا تكفى الموارد الأخرى لتأمين حاجات الناس.

مقصد تحقيق السلم الاجتماعي: ذلك أن الإطعام يترك أثراً نفسياً على الفقراء والمساكين والمستفيدين منه بصفة عامة حيث يقضي على جميع الأمراض النفسية والقلبية وهذا يؤدي إلى السلام النفسي الذي ينتج لنا مجتمعاً خالياً من الأحقاد والضغائن، وفي المقابل يعمل على توطيد أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع المسلم، إذ يقلل من الطبقة ويعمل على إزالة الفوارق الاجتماعية فتعم الألفة ويسود الهناء وهو ما يهدف إليه الإسلام.

مقصد تحقيق الأخلاق الاجتماعية الفاضلة: لأن الترغيب في الإطعام ترغيب لغيره من الأخلاق الاجتماعية الفاضلة فالمسلم إذا تفقد جاره إذا بات شعبان أم جائع، فإنه يتربى على هذا الفعل وينغرس فيه تفقد جاره و الوقوف معه أيام الشدائد والتضحية بالمال والوقت والبدن من أجل إسعاده، فهذه الخصلة الاجتماعية الحميدة عامل وسبب يؤدي إلى خصال أخرى.

الصيام: للصيام مجموعة من الآثار النفسية تنعكس إيجاباً على المجتمع من بينها:

• تعميق المراقبة لله تعالى وآثارها على المجتمع:

يعمق الصيام في الإنسان المراقبة لله تعالى في كل حركاته وسكناته، والمراقبة سر من أسرار الإسلام لا تعرفه الأمم ولا تستعمله لضبط سلوك المجتمع والأفراد، فالصوم يربى في نفس الصائم صفة المراقبة، مراقبة الله عز وجل في السر والعلن والغيبة والشهود، والمسلم إذا راقب الله حق المراقبة فقد بلغ غاية الإحسان، وفي حديث جبريل المشهور الذي كان رواه الشيخان أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"³³ ولا تكاد تجد عبادة تتجلى فيها مراقبة الله مثل الصوم، فالصائم الذي لا يراقب الله سبحانه ربما يأكل ويشرب في الخفاء ثم يظهر أمام الناس بمظهر الصائم المتنسك، فالصوم في

الحقيقة سر بين العبد وبين ربه، ولا يطلع على حقيقته إلا الله، ولكونه سرّاً بين العبد وبين ربه أضافه الله إلى نفسه وشرفه بهذه الإضافة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإنه سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم³⁴).

ولا يزال الصوم يقوي من صفة المراقبة حتى تصير ملكة من الملكات النفسية، وإذا صارت ملكة راسخة تحكمت في سلوك الإنسان ووجهته إلى المسارعة في الخيرات والإحجام عن المنكرات، إذ كلما أمرته نفسه الأمانة بالسوء بمنكر تذكر عظمة الله وجلاله وأنه مطلع عليه ومراقب له فتقول له: اترك ولعمل الخير أسرع، وصدق الله حيث يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 201) وصلاح الأفراد والجماعات متوقف إلى حد كبير على هذا الوازع النفسي الذي يجعل من صاحبه رجلاً حاضر القلب متيقظ الشعور حي الضمير، فإذا استشعر كل فرد من أفراد المجتمع مراقبة الله تعالى أحجم عن كل فعل يسيء إلى مجتمعه فتعم السكينة والطمأنينة وتزول الجرائم.

• التحكم في الشهوات وتقوية الإرادة وآثارها على المجتمع:

وهذا أمر مهم جاء به الإسلام العظيم، فهذا الدين الجليل لم يجعل الوصول إلى رضي الله تعالى عن طريق الامتناع عن الملاذ والشهوات كما زعم أحبار النصارى ورهبانهم، إنما أباح ذلك للمسلم بضوابط، وحثه على التحكم في شهواته، ومرادات نفسه، فقد فرض الله الصوم على الإنسان ليقوي من إرادته، ويشد من عزيمته ويرفع من همته، ويكمل من رجولته، فيصير مسلحاً بقوة الإرادة مزوداً بذخيرة الشجاعة، مستعداً استعداداً صالحاً لخوض ذلك العباب، لذا كان من الطبيعي أن يفرض الصوم

على الأمة كما فرض عليها الجهاد في سبيل الله وذلك لتقرير منهجه في الأرض، وللقوامة به على البشرية وللشهادة على الناس، فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، إثارة لما عند الله من الرضى والمتاع، وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تنتثر على جوانبه الرغبات والشهوات والذي تهتف بالسالكين آلاف المغريات.

فليس الصوم الامتناع عن الأكل والشرب فقط بل صوم الجوارح عن كل الآفات التي تمس المجتمع لذلك جاء في الحديث: « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »³⁵ يعزز روح التقوى والورع في وجود الإنسان وله تأثير مباشر في التربية الروحية لكل أبناء المجتمع فرداً فرداً، وذلك بسبب أن أكثر الذنوب الفردية والاجتماعية ناشئة من غريزتي الغضب والشهوة، بينما الصوم يقف أمام طغيان هاتين الغريزتين، ولذلك فهو سبب تقلص الفساد في المجتمع وازدياد التقوى.

• مظهر عملي للمساواة الكاملة بين أفراد المجتمع:

إن الصيام يشترك فيه الغني والفقير على حد سواء في الإحساس بالجوع طيلة فترة الكاملة، فمن أسرار الصيام الاجتماعية أنه تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، تذكير بغير خطبة بليغة ولا لسان فصيح، تذكير يسمعه الصائم من صوت المعدة، ونداء الأمعاء، فإن الذي نبت في أحضان النعمة ولم يعرف طعم الجوع، ولم يذق مرارة العطش، لعله يظن أن الناس كلهم مثله.. فلا غرو أن جعل الله من الصوم مظهراً للاشتراكية الصحيحة والمساواة الكاملة، وجعل الجوع ضريبة إجبارية، يدفعها

الموسر والمعسر.. يقول السيد سابق عن آثار الصوم الاجتماعية "والصيام فيه معنى المساواة بين الفقراء والأغنياء في الحرمان وترك التمتع بالشهوات وهذا من شأنه أن يرفع من نفس الفقير إذ يجد الغني مثله في القيام بهذه المهمة كما أنه يفجر ينابيع الرحمة والعطف في قلوب الأغنياء ويبعثهم على مساواة الذين ضاقت بهم سبل العيش فتتآلف القلوب وتذهب الأحقاد ويتعاون الفقراء والأغنياء على النهوض بالمجتمع وتوفير الطمأنينة له، ولقد كان يوسف عليه السلام أمينا على خزائن الأرض وكان يكثر من الصيام فسئل عن ذلك فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع".³⁶

• **حسن المعاشرة بين أفراد المجتمع:** إن الصوم يوفر للإنسان أرضية المباشرة بالمسائل المعنوية ويمثل سبباً لابتعاده عن الجرائم الاجتماعية وانخراطه في درب مراعاة التقوى الاجتماعية وحسن المعاشرة مع إخوته وأقرانه. يؤثر الصيام تأثيراً عظيماً في ضبط السلوك الإنساني وإصلاح أخطاء الناس وبالتأكيد إن هذا الأثر يتبلور في شهر رمضان المبارك بأجلى صوره، حيث إن أكثر الناس يصومون فيه ويمارسون بعض الأعمال المستحبة كإفطار الصائمين.

• **إشاعة الأجواء المعنوية وتقلص الجرائم الاجتماعية:** إن الصوم يعزز روح التقوى والورع في وجود الإنسان وله تأثير مباشر في التربية الروحية لكل أبناء المجتمع فرداً فرداً، وذلك بسبب أن أكثر الذنوب الفردية والاجتماعية ناشئة من غريزتي الغضب والشهوة، بينما الصوم يقف أمام طغيان هاتين الغريزتين، ولذلك فهو سبب تقلص الفساد في المجتمع وازدياد التقوى.

• **إشاعة روح المحبة والإخاء في المجتمع:** إن ذلك الجوَّ الإيماني الذي يعيشه الصائمون من شأنه أن يوثق العلاقات بين قلوبهم ويشيع فيهم المحبة والإخاء وروح التعاون؛ إذ أن المؤمن يصوم مع إخوانه في جو جماعي متآلف، فالجميع يصومون في

وقت واحد ويفطرون في وقت واحد، ويستشعر كل فرد في المجتمع ما يستشعره الآخرون من الناحية الوجدانية، لأن الصائم يرتاح نفسياً إلى من هو في مثل حاله، وينجذب إليه بالعطف والمودة لاتحاد غايتها ووحدة هدفها في ابتغاء مرضاة الله وغفرانه.. فترى الصائمين في هذا الشهر متعاطفين متحابين، يقصدون المساجد للصلاة وذكر الله وقراءة القرآن، وهم غالباً يتزاوون ويتسامرون بعد صلاة العشاء والتراويح جماعة. وهم بذلك يتفقّدون من تخلّف منهم عن حضور الجماعة، فإن كان مريضاً واسوءه، وإن كان في ضائقة تعاونوا لدفعها عنه.

• **توطيد العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين:** من ثمار الصوم أيضاً توطيد العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، غنيهم وفقيرهم فهو يغرس في نفوس الموسرين روح البذل والعطاء حين يحسون وهم صائمون بالحاجة إلى الطعام، فيكون ذلك الجوع المؤقت مدعاة لتذكّر جوعة الفقير الدائمة بسبب الحاجة والحرمان كما يعلم الصوم التكافل والإيثار: يتولد عن الصيام كسر شوكة الأنانية لتعويضها بروح التكافل والإيثار، وترى الغني في هذا الشهر، أكثر من أي شهر آخر، يسارع إلى التضامن مع المعوزين ومد يده إليهم بسخاء لأنه أتيح له من خلال الصيام أن يشعر شعورهم ويعيش بعضاً من معاناتهم. وقد ورد في السنة ما يدل على أن للإنفاق في هذا الشهر فضلاً على الإنفاق في بقية الشهور، يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون بالخير في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.³⁷

العتق: أولاً: مقاصد التكفير بالعتق:

العتق: مأخوذ من السَّبَق، يقال: عتقت منى يمين، أي: سبقت، وعتقت لفرس:

المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات د. أحمد خويلدي، ود. هارون الرشيد بن موسى

إذا سبقت، وعتق فرح الطائر: إذا طار واستقل، فكأن المعتق خُلِّيَ فذهب حيث شاء، ويقال: عتق العبد يُعتَق عِتاقاً وعِتاقَةً، فهو مُعتَق وعَتِيق، ولا يقال: معتوق، وخصّص الرّقبة بالعتق والملك دون سائر الأعضاء؛ لأنّ تملُّك السيّد لعبده مثاله كمن يضع حبلاً في رقبة آخر يُحرِّكه كيف شاء، وكالغل يُحبَس به ولا يستطيع الفِكَاك إلا بأمر صاحبه، وتُحبَس الدابة بالحبل وتُربط في عنقها، ولهذا استخدموا الحبل كنايةً في العتق، فقالوا: حبلك على غاربك (لمن أعتق عبده) جعله بمنزلة البعير يُطرح حبله على غاربه فيذهب حيث يشاء، ولا يوثَّق³⁸.

والإسلام لم يلغ منبع رق أسرى الحرب لاعتبارات عالمية واعتبارات سياسية ونفسية واجتماعية وتشريعية³⁹، لكنه ضيق منافذه إذ جعل السبب الوحيد له هو أسرى الحرب وما يتفرع عنه من أسباب⁴⁰، وفي الوقت نفسه قام الإسلام بتوسيع المخرج لعتق الرّقاب وزيادة أسباب العتق⁴¹ لاعتبارات اجتماعية أهمها:

إيجاد العضو الفعال المساهم في الخدمة الاجتماعية: فالرق حالة حكمية تضرب على الرقيق فتحول بينه وبين كمال أهليته لا إزالة أصلها، أي يلحق بها نقص حيث يصبح بذاته مملوكاً لسيده، فلا يملك ولا يمارس لنفسه أيّاً مما يتعلق به حق التملك ويعامل في جانب مصلحة سيده معاملة المال المملوك، وفي كثير من الجهات يبقى على أصل الحرية فتصح الكثير من أفعاله كالإقرار والشهادة والتزويج، ويخاطب بحقوق الله فيدعى إلى الإسلام ويطالب بالصلاة والصيام والكف عن المحرمات وتجب له النفقة، ولكن تسقط عنه بعض الواجبات كالجمعة والحج والجهاد لا زوالاً للأهلية، ولكن محافظة على حق السيّد، فإن أذن له السيّد ارتفع المانع فعادت الأهلية ولا يعد ذلك إثباتاً لأصلها⁴²...

لأن خدمة المجتمع والقيام بشؤون أفرادهم لا تتم بأرقاء ولا مملوكين فالعبد

المملوك هو وماله ملك لسيده فلا يستطيع خدمة نفسه فكيف بالمجتمع لذلك فغرض الشرع الإسلامي من تشجيع العتق هو تزويد المجتمع بالعتقاء بغرض خدمته ويمكن أن نستشف ذلك. ويحسن هنا أن نشير إشارة خاصة إلى إحدى هذه الكفارات لدلالاتها الخاصة في نظرة الإسلام إلى الرق، فقد جعل كفارة القتل الخطأ دية مسلمة إلى أهل القتل وتحرير رقبة: "ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله"⁴³. والقتل الذي قتل خطأ هو روح إنسانية قد فقدها أهلها كما فقدها المجتمع دون وجه حق، لذلك يقرر الإسلام التعويض عنها من جانبيين: التعويض لأهلها بالدية المسلمة لهم، والتعويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة! فكأن تحرير الرقيق هو إحياء لنفس إنسانية تعوض النفس التي ذهبت بالقتل الخطأ. والرق على ذلك هو موت أو شبيه بالموت والرق هو موت أو شبه بالموت في نظر الإسلام على الرغم من كل الضمانات التي أحاط بها الرقيق، ولذلك فهو يتنزه كل فرصة لإحياء الأرقاء بتحريرهم من الرق.⁴⁴

قال محمد بن عبد الرحمن البخاري في كتاب محاسن الإسلام: "ومن جملة المحاسن في الإعتاق أنه إذا اعتقه صار أهلاً للشهادة والولاية والتصرف في الأموال والقضاء وغيرهما فيشيع منافع بدنه لعامة الناس وكان كما قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة 32)، فكان الإعتاق إحساناً إلى عامة الناس بواسطة الإحسان إليه وبهذا الطريق صلح الإعتاق كفارة للقتل.⁴⁵

لذلك رغب الإسلام في العتق وجعل له منافذ كثيرة أهمها وكان النبي ﷺ

يعتق من الأرقاء من يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، أو يؤدي خدمة مماثلة للمسلمين. ونص القرآن الكريم على أن كفارة بعض الذنوب هي عتق الرقاب. كما كان النبي ﷺ يحث على العتق تكفيراً عن أي ذنب يأتيه الإنسان، وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم، لأغراض وغايات اجتماعية أهمها:

التأصيل للأخلاق الإسلامية

والإسلام لم يجعل هذا الحل هو الخيار الوحيد، بل جعل طريق الإحسان وهو الإطلاق والمن إذا كان أرفق بهم والذي يدل على ذلك فعل النبي ﷺ مع بني المصطلق حيث أصاب منهم المسلمون سبياً كثيراً، وكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال الناس أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم، أي اعتقوهم إكراماً لرسول الله ﷺ في مصاهرته فأعتق مائة أهل بيت من بني المصطلق، وكان ذلك سبب إسلام قومها⁴⁶.

إشعار الفرد المسلم بمكانة النفس الإنسانية: لا يعي مكانة الحرية إلا من ذاق ذل العبودية ولا يعرف قيمة الإنسان إلا من تجرع مرارة القهر والاستغلال ولا شك أن لتشوف الإسلام وسعيه الحثيث لتحرير النفس الإنسانية من ذل العبودية أثر نفسي له انعكاسه على الجانب الاجتماعي فحصول الفرد على حريته بالطرق التي شرعها الإسلام يجعله يعرف قيمة النفس وحريتها في الإسلام فيمتنع بذلك عن ظلم الناس والاستعلاء عليهم وضمهم حقوقهم فيشيع الأمن والرخاء وتحفظ الكرامات، على خلاف الكثير من النظم الوضعية الأخرى التي تدع الأمور تتعقد وتتأزم، حيث تقوم الثورات الاقتصادية والاجتماعية حيث تزهر الأرواح بالمئات والألوف، ثم لا يعطي الحرية لطلابها إلا مجبرة كارهة⁴⁷، وهذا الأمر يغذي فيهم حب الانتقام والتسلط فتشيع العداوات وتنتشر الحروب والدماء وتنتشر الفتن.

أعتق النبي ﷺ ثلاثاً وستين نسمة عدد سنين عمره، وقال وأعتقت عائشة سبعة وستين وعاشت كذلك وأعتق أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً، وأعتق العباس رضي الله عنه سبعين عبداً، واشتهر عبد الله بن جعفر بالسخاء والجود فمن ضمن سخائه وجوده بأنه أكثر من عتق الرقاب واجتمعت الأمة على صحته وحصول القربة به⁴⁸.

وهذا ما فعله مالك بن دينار الذي شمل بالصدقات التي وزعت على فقراء لا لبصرة فأعتق بها عدداً من الرقاب ويشير هذا على نحو واضح إلى مساعدة الناس على الحقيقة المبنية على روح الشرع، وذلك لرفع شأنهم والحرص على أن ينالوا حقهم من العدل والرحمة بما يتلاءم مع روح الإسلام.⁴⁹

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث يمكننا تسجيل النقاط التالية

1-مدى رحمة الله عز وجل حيث شرع لهم الكفارات تكفيرا لهم لذنوبهم ولتحقيق مقاصد أخرى اقتصادية واجتماعية تطرقنا لبعضها، كما يمكن أن نستنتج حكمة الباري عز وجل فما شرعه للإنسانية من أنظمة وفي ما يسن لها من أحكام هو أعرف بحقائق النفوس وتطور المجتمع وحكم التشريع وأحوال الأمم وتقلبات السياسة.

2-شمولية الإسلام لجميع مناحي الحياة وقد ظهر ذلك جليا في عنايته بالجانب الاجتماعي فلم يعزل الفرد عن الجماعة فللفقير والمسكين حق من وسائله خصال الكفارات.

واقعية الشريعة الإسلامية التي راعت ضعف البشر في تشريعها للكفارات فجاءت

خصالها متصفة بما يلي:

- متنوعة فلم يلزم المسلم بصنف واحد منها.
- على التدريج فالعاجز مثلاً عن الصيام في كفارة الظهار يكلف بالإطعام.
- 3- قيمة النفس البشرية وذلك واضح جلي في تضيق منافذ الرق وتوسيع طرق العتق وذلك ما يتناسب مع دعوة الإسلام الصريحة لقيم العدل والمساواة وتحريم قتل النفس والاعتداء عليها والإلقاء بها إلى التهلكة.

- 4- سبق الإسلام للعمل الخيري: من خلال تشريعه للعديد من وسائل التكافل والتي ضمنت حق الفئات الضعيفة في المجتمع كالفقير والمسكين والأرملة واليتيم، وقد غاب ذلك عن كثير من المنظمات والجمعيات الداعية لحقوق الإنسان التي لو رجعت لتعاليم الإسلام لعم العدل والأمن الغذائي وزالت المجاعات.

الدواشي والإحالات

- ¹ ابن منظور محمد لسان العرب تحقيق عبد الله الكبير - محمد حسب الله - هاشم الشاذلي ط 01، دار المعارف (القاهرة) (96/3)
- ² علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط 05 1993م، ص 06.
- ³ أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان (م، ع س) ج 05 ص 41.
- ⁴ ياسر علي محمد، المسائل المهمة في الكفارات، ص 04.
- ⁵ ابن منظور، مرجع سابق (مادة كفر 5/3897)
- ⁶ النووي المجموع شرح المذهب مع تكملة السبكي والمطيعي، دار الفكر، ج 6 ص 333.
- ⁷ عبد القادر عوده، التشريع الجنائي، ط دار الكتاب العربي (بيروت) 1411هـ/1991م (683/1).
- ⁸ د/ مازن اسماعيل هنية، الإعجاز التشريعي في الكفارات، مجلة الجامعة الإسلامية غزة (فلسطين) مجلد 17 عدد 02 أوت 2009م، ص 49.
- ⁹ القياتي محمد، فقه الكفارات، أنواعها وأحكامها، دار الفضيلة للنشر والتوزيع (مصر) ط 01 2010م ص 08.
- ¹⁰ رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

[البقرة: 225]، 6/ 2443

انظر: الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق عبد القادر شيبية الحمد، مكتبة الملك فهد، ط 01 1429هـ-2008م ج 01

¹¹ فقه الكفارات (مرجع سابق) ص 08.

¹² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر ط 02 1406هـ-1986م، ص 12.

¹³ المرجع نفسه ص 25.

¹⁴ محمد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق (مصر) د. ط 1415هـ-1995م، ص 12.

¹⁵ القياتي محمد، فقه الكفارات، ص 09

¹⁶ رواه مسلم كتاب الصيام «باب تغليب تحريم الجماع في نهار رمضان» رقم 495 رقم 1111.

انظر: صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط 01، 1427هـ-2006م

¹⁷ ابن رشد: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، مطبعة الاستقامة، بدون تاريخ، ص 414.

¹⁸ الكاساني علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ط 02 دار الكتب العلمية بيروت ج 95/05

¹⁹ محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، دار المعرفة بيروت 1414هـ-1993م ج 19 ص 40.

²⁰ أحمد بن عبد الرحيم، حجة الله البالغة، تحقيق السيد سابق دار الجيل بيروت ط 01، 1426 / 2 217

²¹ د/ مازن هنية الإعجاز التشريعي في الكفارات ص 46.

²² المقرئزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دراسة وتحقيق د/ كرم حلمي فرحات ط 01 ص 59.

²³ شوقي عطالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ص 89.

²⁴ عمر عبد العزيز ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية بيروت ط 304.

²⁵ ديوارت، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر ترجمة دزكي نجيب محمود ج واحد ص 04.

²⁶ رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات رقم 1605 ص 754.

²⁷ صحيح مسلم «كتاب البيوع» باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ص 711 رقم 1527.

²⁸ صحيح مسلم «كتاب البيوع» باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ص 711 رقم 1527.

²⁹ رواه ابن حاتم في العلل رقم 1971 دار الكتب العلمية ج 02، ص 151.

³⁰ أخرجه الدارمي في المسند الجامع، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ص 632.

انظر أبي عبد الله الفضل الدارمي، المسند الجامع، مكتبة الملك فهد (م ع س) ط 01 1434هـ-2013م.

³¹ الكتب «صحيح البخاري» كتاب الإيمان «باب إطعام الطعام من الإسلام» رقم 12 ص 53.

³² د. مصطفى السباعي: "اشتراكية الإسلام"، مرجع سابق، ص 206.

³³ رواه البخاري «كتاب الإيمان» باب سؤال جبريل النبي ﷺ رقم 50 ص 63.

المقاصد الاجتماعية لخصال الكفارات د. أحمد خويلدي، ود. هارون الرشيد بن موسى

- ³⁴ «رواه البخاري» كتاب الصَّوْمِ باب: هَلْ يَقُولُ: إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شِئِمَ ص 522 رقم 1858.
- ³⁵ رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به ص 522 رقم 1903.
- ³⁶ السيد سابق، إسلامنا، دار الفكر بيروت ط 1402-1982 م ص 125.
- ³⁷ رواه البخاري، كتاب الصيام، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان رقم 1855 ص 522.
- ³⁸ محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركني، أبو عبد الله، المعروف ببطلان النظم المستعذب في تفسير غريب المذهب (1991)، مكة المكرمة: المكتبة التجارية، صفحة 104. بتصرف.
- ³⁹ د أحمد سليمان البشايرة، الرق قضية إنسانية وعلاج قرآني مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 15، ص 81. ص 81.
- ⁴⁰ المرجع نفسه، ص 127.
- ⁴¹ طرق عتق الرِّقبة وتخفيف منابع الاسترقاق في الإسلام:
- جعل الإسلام عتق الرِّقاب من التقربات العظيمة إلى الله سبحانه وتعالى: قال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ).
- جعل الإسلام العتق أحد مصارف الزَّكَاة الثَّانِيَةِ.
- جعل الإسلام عتق الرِّقاب كفارةً للطَّمْعِ الْعَبْدِ أَوْ ضَرْبِهِ،
- أوجب الإسلام العتق في بعض الكَفَّارَات، ومنها كفارة القتل الخطأ، وكفارة الظَّهَار، وكفارة الحِنْث في اليمين.
- أجاز الإسلام الزَّوَاجَ مِنَ الرَّقِيقِ، وهو من أهما وأوسع أسباب العتق.
- جعل القرار في يد المُسْتَرَقِّ نفسه؛ فشرع المُكَاتِبَةُ مع المالك لكي يعتق نفسه بنفسه ويشترى حُرِّيَّتَهُ.
- انظر: حث الإسلام على العتق وتوسيع منافذه www.alukah.net
- ⁴² د أحمد سليمان البشايرة، الرق قضية إنسانية وعلاج قرآني، ص 129.
- ⁴³ عبد الله ناصح علوان، نظام الرق في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص 53.
- ⁴⁴ محمد بن عبد الرحمن البخاري، محاسن الإسلام وشرائع الإسلام، مكتبة القدسي (القاهرة) 1357هـ ص 54.
- ⁴⁵ د/ أحمد سليمان البشايرة، الرق قضية إنسانية وعلاج قرآني، ص 122.
- ⁴⁶ عبد الله ناصح علوان، ص 44.
- ⁴⁷ حكم عتق الرقاب ص 172.
- ⁴⁸ د/ محمد شاكِر رشيد، حكم عتق الرقاب في الفقه الإسلامي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ص 169.
- ⁴⁹ رواه البخاري، كتاب الصيام، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان رقم 1855 ص 522.

Social purposes of atonements characteristics

Dr. khouildi-ahmed

*Department of Charia
Institute of Islamic Sciences
Eloued University
khouildi-ahmed@univ-eloued.dz*

Dr. haroun.benmoussa

*National center of Research in
Islamic sciences and civilization
Laghout, Algeria
haroun.benmoussa@gmail.com*



Abstract:

Islam has paid great attention to the life of the group, this is what we realize by inviting Islam to care for the family and the neighborhood and to seek solidarity and cooperation among all Muslims.

This can be traced even from the qualities of atonements (feeding - fasting - the release of necks) that appear to be penalties, but when considering their purposes can be drawn from many social purposes.

Keywords:

social purposes; feeding ; fasting ; the release of necks; atonements characteristics.

